مجلة مجمع اللغة العربية

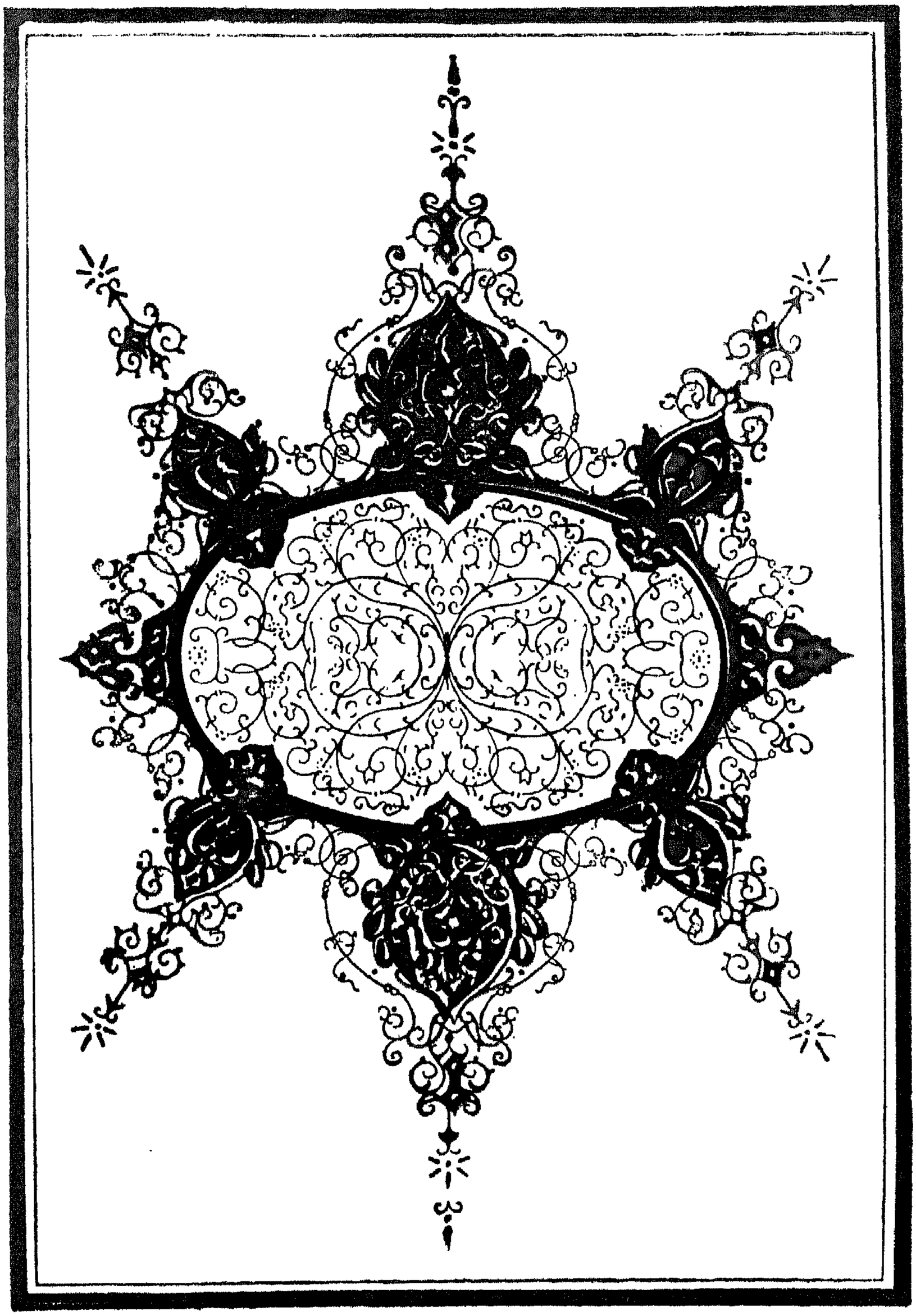

الجزء الثالث والثلاثون

ربيع الثانى ١٣٩٤هـ

مـــايـــو ١٩٧٤م

معنى (كاد) في الإثبات والنفى

للدكتور أحمد الحوفى

الفعل (كاد) مثبتا تارة

ومنفيا تارة ، فما معناه فى الحالين ؟ أوثر ألا نتعجل الجواب ، بل نستأنس أولا بآراء النحاة ، ثم نعتمد على القرآن الكريم وعلى الشعر القديم فى تعرف الدلالة الحقيقية للفعل كاد فى الإثبات وفى النفى .

اولا (فى النحو) :

١ – قال جمهور النحاة إن كاد وكرب وأوشك وضعت للدلالة على قرب الخبر ، وإن كان قربه لا يستلزم وقوعه ، بل قد يستحيل وقوعه كما فى قوله تعالى : « يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار » .

فإذا قال قائل : كاد زيد يبكى ، فمعناه قارب زيد البكاء ، أى أن مقاربة البكاء ثابتة ، ولكن البكاء نفسه منتف .

وقد عَبَّر الفراءُ والأزهرى عن هذا بأن إثبات كاد نفى ، أى نفى لوقوع الخبر ، لأنك إذا قلت : كدت أبلغ إليك ، فمعناه أنك قاربت البلوغ ولم تبلغ .

٢ – أما كاد المنفية نحو قولنا : لم يكد الثمر ينضج ، فمعناه عند الجمهور أنه لم يقارب النضج ، أى أن المقاربة منفية ، والنضج نفسه منتف انتفاءً أبعد من قولنا : كاد الثمر ينضج ، وبهذا فسر الأخفش قوله تعالى : « إذا أخرج يده لم يكد يراها » بأنه لا يراها .

على حين أن الفراء والأزهرى يذهبان إلى أن نفيها إثبات ، فإذا قلت : ما كدت أبلغ إليك ، فمعناه أنك قد بلغت[1] .

---

(١) شرح الأشمونى ٢ / ٩١ – ١٠٣ وشرح ابن يعيش ٧ / ١٢٤ ولسان العرب مادة "كيد" .

ثانيا (كاد فى الاثبات) :

(١) فى القرآن الكريم

١ ـ قال تعالى : « ولما رجع موسى إلى قومه غضبانَ أَسِفًا قال : بئس ما خَلَفْتمونى مِنْ بَعْدِى ، أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ ربكم ؟ وأَلْقَى الألواح ، وأخذ برأس أخيه يَجُرُّهُ إليه ، قال : ابنَ أُمَّ إنَّ القوم استضعفونى ، وكادوا يقتلوننى ، فلا تُشْمِتْ بى الأعداء ، ولا تجعلنى مع القوم الظالمين »[1] .

فما معنى كاد هنا ؟

المعنى أننى لم آل جهدا فى معارضتهم ووعظهم وإنذارهم ، لكنهم غلبونى على أمرى ، ولم يبق إلا أن يقتلونى ، وقد قاربوا ذلك .

٢ ـ وقال سبحانه : « لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتَّبعوه فى ساعة العُسْرة مِنْ بَعْدِ ما كاد يَزِيغُ قلوبُ فريقٍ منهم ، ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم »[2] .

فقد كان المسلمون فى غزوة تبوك فى ضيق شديد ، لأن رواحلهم قليلة ، وأزوادهم ضئيلة ، وكان ماؤهم نَزْرا ، حتى إنهم نحروا الإبل واعتصروا فروثها ، وكان الحر شديدا ، ولهذا كادت قلوب بعضهم تنصرف عن ثباتها على الإيمان ، أو تنصرف عن اتباع رسول الله فى الخروج معه فى تلك الغزوة .

ومعنى هذا أن قلوب هذا الفريق لم تزغ ، بل قاربت أن تزيغ .

٣ ـ وقال تعالى : « وإن كادوا لَيَفْتِنونك عن الذى أوحَيْنا إليك لتَفْتَرِىَ علينا غيره ، وإذاً لا تَّخذوك خليلًا . ولولا أن ثَبَّتناك لقد كِدْتَ تَرْكَنُ إليهم شيئا قليلًا »[3] .

وذلك أن ثقيفا أو قريشا عرضوا على النبى صلى الله عليه وسلم أن يسلموا لكنهم اشترطوا شروطا ، ولولا أن الله تعالى ثَبَّت النبى وعصمه لقارب أن يميل إلى الرضا بشروطهم ، لشدة رغبته فى إسلامهم .

٤ ـ وقال سبحانه : « وقالوا اتَّخذَ الرحمنُ ولدا . لقد جئتم شيئا إدًّا ، تكاد السماوات يتَفَطَّرْنَ منه ، وتَنْشَقُّ

---

(١) سورة الأعراف ١٥٠

(٢) سورة التوبة ١١٧

(٣) سورة الإسراء ٧٣ ـ ٧٤

الأرضُ ، وتَخِرُّ الجبال هَدًّا ، أنْ دَعَوْا للرحمن ولدا »[1] .

أى أن نسبتهم ولدا إلى الله تعالى كلمة شنيعة فظيعة ينكرها العقل السليم ، وتبرأُ منها الجمادات ، وتوشك أن تنفطر وتنشق وتخر من هول هذه الفرية وبطلانها .

٥ ـ وقال تعالى : « الله نورُ السماوات والأَرض ، مَثَلُ نورِه كمِشْكاةٍ فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة ، الزجاجةُ كأَنها كَوكَب دُرِّىٌّ يُوقَدُ منْ شجرةٍ مباركةٍ زيتونةٍ لا شرقيةٍ ولا غربيةٍ يكاد زيتها يضىءُ ، ولو لم تمسَسه نار ، نورٌ على نور ، يَهدِى الله لنوره من يشاءُ ، ويَضْرِبُ الله الأَمثالَ للناس ، والله بكل شىءٍ عليم »[2] .

أى أن الزيت بسبب صفائه وبريقه ولمعانه يقارب أن يضىء من غير نار .

٦ ـ وقال سبحانه : « أَلم تر أَن الله يُزْجِى سحابا ، ثم يُؤلِّف بينه ، ثم يَجْعَلُهُ رُكاماً ، فترى الوَدْقَ يَخْرُج منْ خلالِه ، ويُنزِّلُ من السماءِ من جبال فيها مِنْ بَرَدٍ ، فيصيب به مَنْ يشاءُ ، وَيصْرِفُه عَنْ مَنْ يشاءُ ، يكاد سَنَا بَرْقِه يَذْهبُ بالأَبصار »[3] .

ومعنى هذا أن ضوء البرق يقرب من أن يخطف الأَبصار ، ولا يخطفها .

٧ ـ وقال تعالى : « وإذا رأَوك إنْ يتَّخذونك إلا هُزُوًا . أَهذا الذى بَعَثَ اللهُ رسولا ؟ إنْ كاد ليُضِلُّنا عن آلهتنا لولا أَنْ صَبَرْنا عليها ، وسوف يَعْلمون حين يرون العذابَ مَنْ أَضلُّ سبيلاً »[4] .

ويتبين من الآية أن النبى عليه الصلاة والسلام بذل أقصى جهده فى دعوتهم إلى الإسلام ، مع عرض المعجزات عليهم حتى شارفوا أن يتركوا دينهم ويسلموا ، لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة آلهتهم .

٨ ـ وقال سبحانه : « وأَصبح فؤادُ أُمِّ موسى فارغا ، إنْ كادتْ لتُبْدِى به ، لولا أَنْ ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين »[5] .

---

(١) سورة مريم ٨٨ ـ ٩١ (٢) سورة النور ٣٥ (٣) سورة النور ٤٣
(٤) سورة الفرقان ٤١ ـ ٤٢ (٥) سورة القصص ١٠

أى أن أم موسى لما سمعت بوقوع موسى فى يد فرعون طار صوابها من شدة الجزع حتى قاربت أن تجهر بأن موسى ابنها ، لولا أن الله تعالى ألهمها الصبر لتكتم الخبر ، ولتكون من المصدقين بوعد الله لها فى قوله « إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين » .

أو أنها حينما سمعت أن فرعون عطف عليه وتبناه كادت من شدة فرحها تبوح بأنه ابنها ، لولا أن الله ثبتها وألهمها الصبر.

(٢) فى الشعر :

١ ـ قال أبو صخر الهذلى :

تكاد يَدِى تَنْدَى إذا ما لمستُها
وينبت فى أطرافها الورق النّضْر[1]

فهو يصور سعادته إذا لمستها يده بهذه الصورة ، وهى أن يده تقرب من الإيراق الجميل .

٢ ـ وقال قيس بن ذَرِيح :

وَعَّذبه الهوى حتى براه
كَبْرِىِ القَيْنِ بالسَّفَنِ القِداحا
وكاد يذيقه جُرَعَ المنايا
ولو سَقَّاه ذلك لا ستراحا[2]

أى أن الحب هزله وقارب أن يسقيه جرع الموت ، وهو لم يسقه إياها ، لأنه لو شربها لاستراح ، وما قال ولو سقاه ذلك لاستراح .

٣ ـ وقال رجل من بنى جَعْدة :

إذا دعا باسمها داعٍ ليَحْزُننى
كادتْ له شُعْبَةٌ من مهجتى تَقَعُ[3]

أى أوشكت وقربت أن تقع .

٤ ـ وقال رجل من قيس :

وفيهن مِنْ بُخْتِ النساءِ رِبَحْلَةٌ
تكاد على غُرِّ النساءِ تَرُوقُ[4]

فهى فى نظره لم تفق النساء الحسان ، بل قاربت أن تفوقهن ، وهو بهذا التعبير صادق ، لأنه يعلم أنها لم تفق النسوة الحسان جميعا .

ثالثا (كاد فى النفى) :

(١) فى القرآن الكريم

١ ـ قال تعالى : « قالوا الآنَ جئْتَ بالحق. فذبحوها ، وما كادوا يفعلون »[5] :

أى أن قوم موسى تباطأوا فى ذبح البقرة ، وتلكأوا ، وأطالوا فى أسئلتهم

(١) الأمالى ١ / ١٤٩
(٢) الأمالى ١ / ١٦٢ القين : الحداد . السفن جلد أو حجر ينحت به الشىء ويسحج القدح .
(٣) الأمالى ٢ / ٢٧٣ . (٤) الأمالى ١ / ١١٨ بخت وربحلة : المراد ضخمة ممتلئة. (٥) سوره البقرة ٧١

عن صفاتها ، وهم يقصدون التهرب من ذبحها ، حتى إن حالتهم كانت تدل على أنهم لم يقاربوا الاستجابة والطاعة ، ثم بعد هذا كله اضطروا إلى ذبحها .

فى الآية الكريمة معنيان ، لكل منهما حاله وزمانه .

وأغلب الظن أن الذين ذهبوا إلى أن نفى كاد إثبات فهموا أن قوله تعالى « فذبحوها وما كادوا يفعلون » تصوير لحالة واحدة فى زمان واحد ، أى أنهم ذبحوا البقرة فعلا ولكن بعسر ومشقة .

والحق أن الإثبات لم يفهم من قوله تعالى « وما كادوا يفعلون » بل فهم من قوله سبحانه « فذبحوها » فالنفى الداخل على الفعل كاد ما زال نفيا ، ويحسن أن استأنس هنا بما قاله الطبرى والزمخشرى .

أما الطبرى فإنه قال : وما كادوا يفعلون ، أى أنهم كادوا لا يفعلون ، لأنهم لم يكادوا يفعلون ما أمرهم الله به من ذبح البقرة ، لغلاء ثمنها ، ولخوف الفضيحة على أنفسهم حينما يظهر قاتل القتيل الذى اختصموا فيه[1]

وأما الزمخشرى فقال : وما كادوا يفعلون ، استثقال لاستقصائهم واستبطاء لهم ، وأنهم لتطويلهم المفرط وكثرة استكشافهم ما كادوا يذبحونها ، وما كادت تنتهى أسئلتهم ، وما كاد ينقطع خيط إسهابهم فيها وتعمقهم[2] .

٢ – وقال تعالى : « قل كلٌّ مِنْ عِنْد الله ، فما لهؤلاء القومِ لا يكادون يفقهون حديثا[3] » .

وذلك أنهم زعموا أن ما أصابهم من خير ونعمة منسوب إلى الله ، وما أصابهم من قحط وشر منسوب إلى رسول الله ، وهم مبطلون فى زعمهم ، لأن الله تعالى هو الفعال ، وهو الذى يبسط الأرزاق ويقبضها ، فما بالهم لا يقاربون أن يفهموا فيعلموا هذه الحقيقة ؟ وليس المراد أنهم فهموها بعسر .

٣ – وقال سبحانه : « واستفتحوا وخاب كلُّ جبارٍ عنيد ، مِنْ ورائه

---

(١) تفسير الطبرى ١ / ٢٨١
(٢) تفسير الزمخشرى ١ / ٧٥
(٣) سورة النساء ٧٨

جهنم ، ويُسْقَى مِنْ ماء صديد ، يتَجَرَّعُه ولا يكاد يُسيغه ، ويأْتيه الموتُ مِنْ كل مكان ، وما هو بمَيِّتٍ ، ومِنْ ورائه عذابٌ غليظ[1] » .

أي أنه يتجرع الصديد ولا يقارب أن يسيغه ، فكيف تكون إساغته إذن ؟

ويفهم من الآية أن الإساغة لم تقع مهما يكن عسرها .

٤ ـ وقال تعالى : « حتى إذا بلغ السَّدَّيْن وجد مِنْ دُونِهما قوما لا يكادون يفقهون قولا[2] » .

أى أن ذا القرنين لما بلغ ما بين السدين وجد من دونهما قوما لا يقاربون أن يفهموا الكلام ، ولهذا يتم التفاهم معهم بالإشارة ونحوها ، فهم مثل البكم ، لأن لغتهم غريبة على ذى القرنين ، ولأن لغته مجهولة لهم .

٥ ـ وقال سبحانه : « والذين كفروا أعمالُهم كسراب بقِيعة ، يَحْسَبُهُ الظمآن ماءً ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ، ووجَدَ اللهَ عنده فَوَفَّاه حسابه ، واللهُ سريعُ الحساب . أو كظلمات فى بحر لجِّيٍّ يَغْشاه موجٌ مِنْ فوقه موجٌ مِنْ فوقه سحاب . ظلماتٌ بَعْضُها فوق بعض ، إذا أخرَجَ يَدَه لم يَكَدْ يراها ، ومَنْ لم يجعل اللهُ له نوراً فما له مِنْ نور[3] .

فى هاتين الآيتين وصف لظلمات متراكمة ، إذا أحاطت بإنسان وأخرج فيها يده لم يقارب أن يراها .

وهذا هو الذى يتناسب والظلمات الموصوفة ، وهو أبعد فى نفى الرؤية ، لأن الذى لا يرى قد يقارب أن يرى ، أو يرى رؤية ضعيفة ، ولكن الذى لا يقارب أن يرى لا يرى شيئا ما ، وهذا هو المراد من الآية الكريمة ، ويعززه تشبيه أعمال الكفار بالسراب ، فإن السراب لا حقيقة له ، ثم شبهت أعمالهم بالظلمات المتراكمة التى لا تهدى إلى شىء ولا يمكن أن يُرَى فيها شىءٌ .

٦ ـ وقال سبحانه على لسان فرعون : « أم أنا خيرٌ من هذا الذى هو مَهِينٌ ، ولا يكاد يُبين[4] » .

---

(١) سورة إبراهيم ١٥ ـ ١٧ (٢) سورة الكهف ٩٣

(٣) سورة النور ٣٩ ـ ٤٠ (٤) سورة الزخرف ٥٢

فقد زعم فرعون لقومه أنه خير من موسى عليه السلام ، ووصفه بالضعف والحقارة وبالعجز عن الإبانة .

(٢) فى الشعر :

١ ـ قال ذو الرُّمَّة :

إذا غَيَّر النأْىُ المحبين لم يَكَدْ
رسيسُ الهوى من حب مَيَّةَ يبْرَح[1]

يريد أنه إذا أضعف الفراق الحب فى قلوب المحبين فإن حبى لم يقارب الضعف والتغير .

وهذا أدل على ثبات حبه من أن يقول لم يبرح حبها قلبى ، فقد يكون حبها باقيا فى قلبه وهو ضعيف أو قريب من الزوال ، ولا يطاوعنا الأسلوب إذا أردنا أن نفهم البيت على أن النفى إثبات ، لأن المعنى يصير حينئذ إذا تغير المحبون جميعا تغيرت ، وهذا غير ما قصده الشاعر .

٢ ـ وقال قيس بن ذُرِيح أو قيس المجنون :

وما كاد قلبى بعد أيامَ جاوزَتْ
إلىَّ بأجراع الثُّدىِّ يَرِيعُ[2]

أى أن عقله بعد رحيل محبوبته لم يقارب العودة إليه ، وليس المراد أنه عاد ، لأن عودته مهما تكن عسيرة لا تتفق والصورة الغزلية التى يقصدها .

٣ ـ وقرأ أبو على القالى على أبى بكر بن دُرَيدْ :

وقد لان أيامُ اللِّوَى ثم لم يكد
من العيش شىءٌ بعدهنَ يَلِينُ[3]

فهو يصف الحياة فى أيام اللوى باللين ، ويصفها بعد أيام اللوى بالقسوة والجفاف وبأنها لم تقارب اللين ، ولا يريد أنها لانت مهما يكن لينها ضعيفا ، وهذا هو الذى يلائم ضيقه بالحياة بعد أيام اللوى .

٤ ـ وقال المرَّار بن مُنْقذ :

وإذا تمشى إلى جاراتها
لم تكد تَبْلُغُ حتى تَنْبَهِرْ[4]

---

(١) رسيس الهوى : ثابته .
(٢) الأمالى ١ / ١٣٦
(٣) الأمالى ١ / ١٦١
(٤) المفضليات ١ / ٨٩

أى أنها ذات جسد ممتلىء ، وذات نعيم ، فإذا مشت من دارها إلى دارجارتها تلاحق نفسها سريعا ، وأدركها الإعياء قبل أن تصل .

رابعا (النتائج) :

تبين من الآيات القرآنية الكريمة ومن النصوص الشعرية ما يأتى :

١ ـ (كاد) فعل يدل فى حالة الإثبات على مقاربة الخبر ، ولا يدل على وقوعه فى أية صورة من الصور .

٢ ـ أما (كاد) الفعل المنفى فإنه ينفى مقاربة الخبر ، ولهذا كان الخبر المنفى بعده أبعد من المنفى بدونه ، فقولنا : لا أكاد أصدق هذا الخبر أوغل فى نفى التصديق من قولنا : أكاد أصدق هذا الخبر .

وهذا يخالف ما ذهب إليه الفراء والأزهرى فى قولهما إنك إذا قلت : ما كدت أبلغ إليك ، فمعناه أنك قد بلغت ، ويؤكد ما ذهب إليه الأخفش وغيره فى فهم ما بعد نفى كاد على أنه أوغل فى نفى الخبر منه بغيرها .

٣ ـ أما دخول النفى على خبر كاد نحو قضيت أياما فى بلد كاد فيه المطر لا ينقطع ، فإننى لم أجده فى نص موثوق به ، ولكن النحاة أجازوه ، والقياس لا يمنعه ، والمعنى حينئذ أن المطر قارب ألا ينقطع ، فالنفى منصب على الانقطاع لا على مقاربة الانقطاع .

وقد روى بيت زهير بن أبى سلمى :

صحا القلب عن سلمى وقد كان لايسلو

وأقفر من سلمى التَّعانيق فالثّفل

بوضع كاد بدلا من كان .

وجاء فى تفسير الطبرى قوله : عن ابن عباس فذبحوها وما كادوا يفعلون ، يقول كادوا لا يفعلون[1] .

والفرق بين قولنا : ما كاد المطر ينقطع وقولنا : كاد المطر لا ينقطع ، أن النفى فى الجملة الأولى منصب على مقاربة الانقطاع ، أما النفى فى الجملة الثانية فهو منصب على الانقطاع نفسه ، ولهذا كان النفى فى الأولى أوغل من النفى فى الثانية .

ومعنى هذا أن الخبر المنفى بنفى يسبق كاد أبعد من الخبر المنفى بنفى يجىء بعدها

احمد الحوفى
عضو المجمع

---

(١) تفسير الطبرى ١ / ٢٨١